OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

تأثر إقبال بالأدب العربي والإسلامي

Impact of Arabic and Islamic Literature on Iqbal's Poetry

محمد عتيق الرحمن
قسم اللغة العربية، هيئة تدريس الشريعة والعلوم الإسلامية، بجامعة منهاج لاهور

سُمَيّة إسلام
محمد الصيرفة الإسلامية، جامعة الإدارة والتكنولوجيا، لاهور

Abstract

"Allama Muhammad Iqbal is a multidimensional personality, with the fact that he was a great poet, philosopher, politician, religious scholar and lawyer. Additionally he had a wonderful grip on different languages i.e. Arabic, Persian and Urdu. However, his command on Arabic was valued by the renowned scholars of the same language. His poetry is based on Islamic literature. Impact of Arabic and Islamic literature can be seen in Iqbal's poetry, that he used the Arabic terminologies in his poetry more regularly and more precisely. Most of the ideas and discussions of Islamic literature came from his poetry. He gave an actual image of Islam to the Muslim Ummah. He particularly targeted young generation. He used a lot of Quranic and Hadith phrases in his poetry, which gives the true reflection of Islam. Those who belong to the Arabic and Islamic are still mourning their heart and mind from the light and heat of his poetry."

Key Words: Arabic language, Arabic Literature, Arabic terminologies, Iqbal, Quran, Hadith.

التمهيد

لا شك أن الأدب الأردوي تأثّر تأثّرًا عميقًا بالأدب العربي. وعلى رأس الشعراء الأردويين الذين تأثّروا بالأدب العربي شاعرنا الوطني محمد إقبال. كان – عليه الرحمة – من أعيان القرن العشرين. وكان من أشهر الشعراء والكتّاب والمحامين والفلاسفة والسياسيين. وبالإضافة إلى ذلك كان أهم ركن من أركان حركة حرية باكستان في القرن الماضي.

وشاعريته كلها تفسير وترجمان للقرآن وسنة صاحبهﷺ لأنها مصطبغة بصبغة الأدب العربي والإسلامي. أيقظ محمد إقبال مسلمي شبه القارة من خلال شعره الثوري. وكان شخصًا وحيدًا الذي ظهرت من خلال شعره مباحث الأدب الإسلامي وأفكاره بصورة شعرية في شبه القارة، والذي قدّم شعره أسسًا لنظرية باكستان. ويستفاد منه الأشخاص المنتسبون بالأدب العربي والإسلامي إلى يومنا هذا.

كان محمد إقبال مولعًا بالأدب العربي منذ نعومة أظفاره. وتعلّم اللغة العربية على يد شمس العلماء سيد مير حسن، والذي قال عنه عبد القادر في مقدمة ''بانك درا لإقبال:''

''ان کی تعلیم کا یہ خاصہ ہے کہ جو کوئی ان سے فارسی یا عربی سیکھے، اس کی طبیعت میں اس زبان کا صحیح مذاق پیدا کر دیتے ہیں۔''[i]

''كانت من ميزات تدريسه أن كل من يتعلم على يده اللغة الفارسية أو العربية، يخلق في طبعه ميلها ورغبتها بطريق جيد.''

سبب تأثر إقبال باللغة العربية وأدبها

كان إقبال يجيد اللغات المختلفة وعلى رأسها الأردية والعربية والفارسية والإنجليزية. وعلى الرغم أنه لم يكتب شعرًا بالعربية ولكن شاعريته مصطبغة بصبغة اللغة العربية وملوّنة بلون أدبها. لأنه كان متأثّرا بلسان عربي مبين. وحلاوة هذه اللغة الحلوة تحيط بشعره تمامًا. وهناك نقطتان لرغبته في العربية.

الأول: هو تأثير تربية والديه وبيئته البيتية منذ طفولته حيث أنه كان محبًّا للقرآن الكريم وعارفًا بهذا الكلام المجيد.

والثاني: هو أن اللغة العربية تنتمي إلى العرب، ومنطقة العرب محبوبة عنده لأنها هي موضع حبيبه الأوحد النبي محمدﷺ. كما اعترف بهذه الحقيقة في أشعاره الكثيرة. حيث قال:

خاک یثرب از دو عالم خوشتر است

ای خنک شهری که آنجا دلبر است[ii]

أي ''تربة المدينة المنورة أفضل من العالمين. وأن المدينة المنورة مدينة رياح باردة لأنها هي مسكن حبيبناﷺ.''

فكأن خطة العرب وبيئتها دخلت في ذهن إقبال من وجه أنها هي وطن الحبيبﷺ. وصارت محبة منطقة العرب جزءا لا ينفك عن طبيعته من خلال حبّه الأبدي لحبيب ربنا الكريمﷺ. ويثبت من خلال وثائقه المختلفة أنه كان يقرأ الكتب العربية بكثرة. فهذا هو السبب، أنه يكثر ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار العربية تلميحًا وتضمينًا في شعره. ويذكر الكلمات والتراكيب العربية في كثير من الأحيان من جهات مختلفة. وهذا أمر مسلّم أن شعر أقبال كلّه هو نشر الإسلام وتبليغه.

كما قال عبد الله بن المبارك:

'' لا يُقبل الرجل بنوع من العلوم ما لم يزيّن علمه بالعربية.[iii]''

فلهذا كان إقبال يزيّن شعره باللغة العربية وأدبها. ولو تأملنا في شعر إقبال نجد أن الأدب العربي أثّر في شعره من جهات مختلفة، حيث كان ينفخ روح الأدب العربي في شعره الأردوي والفارسي. والقارئ يحسّ خلال قراءة شعره المملوء بالتشبيهات والتمثيلات والتلميحات العربية كأنه ينظر بيئة العرب بعيني رأسه.

أثّر القرآن الكريم والأدب العربي في فكر إقبال تأثيرًا عميقًا. وهذا هو السبب لكون شعره عالميًا. وعرض إقبال نظرية باكستان عرضًا واضحًا فاهتمّوا مسلمي شبه القارة بهذه النظرية. وبخبرته الخاصة بالقرآن الكريم والأدب العربي وضّح نظرية باكستان المصطبغة بالصبغة الإسلامية حتى اطّلعوا العلماء والزعماء على حقيقتها. وأطلعهم على هذه الحقيقة أن القوم ليس من الوطن بل هو من الدين والنظرية.

وعندما نتأمل في تقصّي السبب لتأثر إقبال بالعربية يظهر لنا أنه كان يعتقد أن اللغة العربية هي وسيلة لوحدة الفكر بين العلماء والأدباء المسلمين. وقال:

''عربی زبان مسلمان علماء اور ادباء کے لئے وحدتِ فکر کا زبردست ذریعہ ہے۔ پس ایک مسلمان کے لئے اس کے اور دوسری اسلامی زبانوں کی ادبیات کے درمیان کچھ حائل نہیں سوائے الفاظ کے جن کے عقب میں ایسے حقائق ہوتے ہیں جنہیں وہ پہلے ہی جانتا ہے اور ایسے افکار ہیں جو اس کی فہم و عقل سے دور نہیں اور ایسے جذبات ہیں جن سے ان کا دل پہلے ہی آشنا ہے۔''[iv]

أي ''العربية هي أفضل وسيلة لوحدة الفكر بين العلماء والأدباء المسلمين. فهناك لا شيء للمسلم يحول بينه وبين لغات الأمة المسلمة إلا الكلمات التي تحتوي على الحقائق يعرفها سابقًا وعلى الأفكار التي ليست بعيدة عن فهمه وعقله وعلى العواطف التي قلبه مألوف بها فعلًا.''

تأثير القرآن الكريم والحديث الشريف في شعر إقبال

من الواضح أن القرآن الكريم أكبر الأعمال الأدبية العربية، ولا ريب أن الأحاديث النبوية تترتب عليه. وبغير ذكر هذين مصدرين للأدب العربي كيف يمكننا أن نبيّن تأثير الأدب العربي في شعر إقبال. فتأثر إقبال تأثّرًا عميقًا من القرآن الكريم والحديث الشريف الذي يظهر من خلال أبياته الكثيرة. واعترف إقبال به في بيته هذا:

گر تو می خواہی مسلماں زیستن

نیست ممکن جز بہ قرآں زیستن(v)

أي ''إن تُرِدْ أن تعيش مسلمًا. فلن يمكنك إلّا أن تجعل القرآن جزء حياتك.''

وأتى إقبال بالآيات القرآنية الكثيرة في أبياته تلميحًا وتضمينًا. وبعض الأحيان ذكر المعاني القرآنية بطريقة جيدة. حيث قال:

گفت حکمت را خدا خیر کثیر

ہر کجا ایں خیر را بینی بگیر(vi)

أي ''قال الله تعالى للحكمة خيرًا كثيرًا. فأينما تجد هذا الخير عليك أن تحصل عليه.''

ففي هذا البيت تأثر إقبال من آية سورة البقرة التي قال تعالى أنه من يؤتيه الحكمة فهو أوتي خيرًا كثيرًا أي قال الله تعالى إن الحكمة هي خير كثير. فقال تعالى:

﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ.[vii]﴾

أشار إقبال في بيته المذكور إلى هذه الآية من السورة البقرة. وإضافة إلى ذلك قال:

ہزار خوف ہو، لیکن زباں ہو دل کی رفیق

یہی رہا ہے ازل سے قلندروں کا طریق(viii)

أي ''ولو كان هناك خوف عظيم ولكن اللسان يكون موافقًا للقلب. وهذا هو طريق الصالحين منذ قديم.''

لو تأملنا في هذا البيت نجد أن إقبال يوصي للمسلمين أن المؤمن الحقيقي هو الذي يقول ما يفعل. ولا يقول ما لا يفعل بنفسه. فهذا هو الموضوع من المواضيع القرآنية الذي ذكره الله تعالى مرارًا في كلامه المجيد. حيث قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ[ix]﴾

هناك أمثلة عديدة في شعر إقبال التي استفادها من آي القرآن الكريم. ولكننا نكتفي خشية الإطالة على الأمثلة المذكور في السطور السابقة.

فالآن نستخرج بعض الأمثلة للأحاديث النبوية من شعر إقبال. ولو تأملنا في أبيات إقبال التي عرض من خلالها نظرية القومية (Nation Theory) وجدنا أنه تأثر كثيرًا في هذا المجال من الأحاديث النبوية التي هي جزء لاينفك عن الأدب العربي. حيث أنه كان يقول إن القوم ليس بالوطن بل القوم يتكوّن من الدين والنظرية. فقال:

قوم مذہب سے ہے مذہب جو نہیں تم بھی نہیں

جذب باہم جو نہیں، محفلِ انجم بھی نہیں(x)

أي ''أن القوم يتكوّن من الدين، وإذا عدم الدين عدمتم. وإن لم يكن الانجذاب بين النجوم لا وجود للنجوم. أي وجود الشعب المسلم يقوم على تجاذبهم وتعاطفهم وتراحمهم بينهم.''

تو نہ مٹ جائے گا ایران کے مٹ جانے سے

نشۂ مے کو تعلق نہیں پیمانے سے(xi)

أي ''أيها الشأب المسلم! إنك لا تفنى بفناء الجمهورية الإيران. لأن سكر الخمر لا علاقة له بالكأس.''

أي إذا انعدم أي وطن من أوطان المسلمين في العالم لن يفنوا المسلمون كلّهم لأن وجودهم لا يعتمد على الجغرافية والأوطان بل هو يعتمد على الدين والنظرية. والإسلام هو دين أبدي الذي لن ينعدم أبدًا والشريعة الإسلامية هي شريعة خالدة مخلَّدة. فكيف للمسلمين أن يفنوا بفناء وطن من أوطان المسلمين.

فيبدو من هذين البيتين أن المسلمين وجودهم لا يقوم على الأوطان والجغرافية بل هو يقوم على أساس الدين والنظرية. وإن لم يكن بينهم تجاذب بعضهم لبعض أي الرحمة والمحبة فلا وجودَ لهم. وهذه هي القوة التي ذكرها النبيﷺ في أحاديثه الصحيحة. فقال:

''ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى (متفق عليه)[xii]''

وقال أيضًا:

''المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينُه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه.[xiii]''

تأثير الشعر العربي في شعر إقبال

قال الدكتور سيد عبد الله عن ''تأثير الأدب العربي في شعر إقبال ''في مقدمة كتاب'' ميزان إقبال:''

''کلامِ اقبال (نہایت ابتدائی زمانے کے سوا) بالعموم عربیت سے اثر پذیر رہا ہے۔ وہ عربی کی کتابیں اکثر پنجاب یونیورسٹی سے منگوایا کرتے تھے۔''[xiv]

''أن شعر إقبال (إلّا ما كان في بداية عصره) كان يتأثّر بالعربية تدريجيًّا. وكان إقبال يتطلب الكتب العربية من جامعة بنجاب (لاهور).''

فيما يلي نذكر تأثر إقبال بهدي القرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر العربي فاتّخذ إقبال أسلوب الشعر العربي حتى يبدو أحيانًا أن شعره انعكاس الشعر العربي، حيث أنه نسج شعره على منوال العرب. ولو نظرنا نظرًا عميقًا في شعر إقبال نجد الأمثلة العديدة له ونعلم مدى تأثّره وقبوله جوّ الأدب العربي. وهذا الاتّخاذ يمكن أن نحصره في ثلاثة اتجاهات:

الأول: استخدام الكلمات العربية في معانيها الخاصة باللغة العربية

الثاني: اتّخاذ المواضيع من الشعر العربي

الثالث: استخدام أبيات الشعراء العرب في شعره تضمينًا وتلميحًا

الأول: استخدام الكلمات العربية في معانيها الخاصة باللغة العربية

وإذا أمعنا النظر في شعر إقبال نجد أنه قد استخدم الكلمات العربية ومصطلحاتها في معانيها الخاصة باللغة العربية وبما أنها تُستخدم باللغة الأردية في معان أخرى. نحو: استخدام كلمة ''دليل ''في معنى ''المرشد ''ولكننا نستخدمها في الأردية بمعنى ''البينة،'' ومن ثم كلمة ''أديب ''في معنى ''المؤدب والمثقّف ''وعندنا معناه'' الكاتب والمؤلف ''في الأردية .وهكذا قد يستخدم كلمة'' غريب'' في معنى'' النادِر ''وفي الأدرية معناه'' الفقير والمسكين''. وقد يأتي بكلمة ''زحمة ''في معنى ''الاختناق والشدّة ''ولكنها في الأردية بمعنى'' الكلفة ،''فانظر كيف استخدمها إقبال بمعنى ''الاختناق والشدّة''، قال:

زحمتِ تنگیٔ دریا سے گریزاں ہوں میں

وسعتِ بحر کی فرقت میں پریشاں ہوں میں(xv)

أي ''إنني أتجنّب من اختناق ضيق النهر وشدّته. وأنني قلق بشأن انفصالي وفراقي عن انفتاح المحيط وتوسّع البحر.''

ضع هذا في عين الاعتبار أن هذا بيت إقبال بالأردية ولكنه يستخدم كلمة ''زحمة'' في معناها العربي. وإن نتّخذ كلمة ''زحمة'' هنا في معنى الذي نستخدمها بالأردية أي ''الكلفة'' لن نفهم ماذا يريد الشاعر من شعره هذا. وقال:

اے تو مارا اندریں صحرا دلیل

بشکن افسونِ نوائے جبرئیل(xvi)

''(قال أبو جهل لزهير) يا (زهير!) أنت لنا دليل ومرشد في الصحراء. فاقطع سحر جبريل يعني القرآن بشعرك.''

هذا البيت من أبيات إقبال في كتابه ''جاويد نامه'' عندما يزور إقبال أبا جهل وهو ينوح في ''فلك القمر''. نجد في هذا البيت أن كلمة ''دليل'' استخدمها إقبال في معنى ''المرشد'' غير معناها الأردية ''البينة''.

إن بعض الكلمات العربية مثل ''الأب'' و''الابن'' و''البنت'' و''الأم'' تُستخدم أحيانًا في غير معانيها الحقيقية، وتدل على العلاقة بين الشيئين فقط. ومن هذه التراكيب العربية تركيب ''بنات الدهر'' الذي يُستخدم في الأدب العربي لمصائب الدهر، وقد استخدمه شاعر الشرق علامة محمد إقبال أيضًا في بيت من أبياته بعد ترجمته إلى اللغة الفارسية:

زلزلے ہیں، بجلیاں ہیں، قحط ہیں، آلام ہیں
کیسی کیسی دخترانِ مادرِ ایام ہیں(xvii)

''توجد في هذا العالم شتى بناتُ الدهر – دخترانِ مادرِ أيام – من الزلازل والصواعق والقحط والآلام.''

الثاني: اتّخاذ المواضيع من الشعر العربي

فكان إقبال يلّح على العودة إلى العرب. فهذا هو السبب أنه كان يقول للشعراء من معاصريه أن يصرفوا النظر من الشعر السوء إلى الشعر العربي وأن ينسجوا على منوال العرب في إنشاد الشعر. فقال في كتابه ''أسرار خودي:''

''فکر صالح در ادب می بایدت
رجعتے سوئے عرب می بایدت
دل بہ سلمانے عرب باید سپرد
تا دمد صبح حجاز از شام کرد''(xviii)

''يجب أن يكون فكرك في الأدب صالحًا، كما يجب أن تُوّليَ وجهك شطر العرب، عليك أن تفوّض قلبك إلى ''سلمى'' من العرب [xix]كي ينبلج صباح الحجاز من مساء الأكراد.''[xx]

وتأثّرُ إقبال بالأدب العربي انتشر في العالم العربي كلّه انتشارًا واسعًا حتى أدركه الأدباء العرب. فقال الدكتور طه حسين مقارنًا بينه وبين أبي العلاء المعري:

''أحدهما –وهو أبو العلاء –كان في أيامه ينظر إلى الهند ويطيل النظر إليها، والأخذ عنها والتأثر بها، حتى التزم في حياته حياة المتنسّكين من البراهمة. والآخر – وهو إقبال –كان ينظر إلى العرب ويشيد بهم، ويثني عليهم ويتخذهم المثل الأعلى للإنسانية الجديرة بالوجود والحياة والبقاء.[xxi]''

كما من شعراء ديوان الحماسة شاعر جاهلي باسم – السموءل بن عاديا– إنه يقول في مدح جبل:

رَسَا أَصلُه تحت الثَّـرى وسَمَا به

إلى النجم فرعٌ لا يُنالُ طويلُ(xxii)

والمراد بالنجم الثريا، يقول شارح ديوان الحماسة في شرح هذا البيت:

''ثبت أثره تحت الثرى وعلا به إلى الثريا رأس رفيع شامخ لا يناله أحد.(xxiii)''

فنجد أثر هذا البيت جليّا في البيت الآتي لإقبال:

چوٹیاں تیری ثریا سے ہیں سرگرمِ سخن

تو زمیں پر اور پہنائے فلک تیرا وطن(xxiv)

في هذا البيت يخاطب إقبال جبل هماله ويمدحه – وهو من أشهر الجبال في شبه القارة الهندية– ويقول:

''يا هماله! ذراكَ (قِمَمُكَ) مشغولة في التكلم مع الثريا، أنت (بسبب أصلك) على الأرض وتوطّنتَ (بقممك الشاهقة) أجواء السماء.''

يقول الدكتور خورشيد رضوي في شرح هذا البيت:

''فما دمنا نعرف أن كلمة ''النجم'' في العربية قد أصبحت كاسم عَلَم للثريا، فإذا قالوا: طلع النجم يريدون الثريا، ما دمنا نعرف ذلك وما دمنا نرى ''جبلا'' إزاء ''جبل'' و ''الثريا'' مقابل ''الثريا'' والرسوخ في الأرض نفس الرسوخ في الأرض والعلو إلى السماء نفس العلو إلى السماء في كلا البيتين، لم نكد نرتاب في أن إقبالًا استوحى من بيت السموءل...(xxv)''

معنى هذا البيت المذكور –لإقبال– أيضًا موافق للآية القرآنية، بالإضافة إلى أن معناه مستفاد من بيت ديوان الحماسة –كما ذكرنا– آنفًا. فضرب الله تعالى مثلًا لكلمة طيبة وقال:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ.(xxvi)﴾

فذكر الله تعالى الشجرة الطيبة مثلًا للكلمة الطيبة ووصفها بأنها ثابتة في الأرض بأصلها وفروعها واصلة إلى أجواء السماء. وهذا هو الوصف الذي ذكر إقبال لجبل هماله. ويمكننا أن نقول أنّ معنى شعره هذا مستفاد من القرآن الكريم وديوان الحماسة.

ومن ثَم هذا البيت الذي جاء به إقبال في قصيدته المسمى بـ ''ذوق وشوق،'' نجده مصطبغًا بصبغة الشعر العربي الجاهلي وملوّنا بلونه، فالجو الجاهلي مسيطر عليه. فإنه يقول:

سرخ و کبود بدلیاں چھوڑ گیا سحابِ شب
کوہِ اِضم کو دے گیا رنگ برنگ طیلساں
گرد سے پاک ہے ہوا، برگ نخیل دھل گئے
ریگِ نواحِ کاظمہ نرم ہے مثل پرنیاں(xxvii)

''إن غمام الليل ترك وراءه سحب حمراء وزرقاء وخّلف على جبل إضم طيالس ملونة بألوان مختلفة. صار الهواء نقيا من الغبار، ونظفتْ أشجار النخل، وأصبحت رمال ضواحي كاظمة ناعمة مثل الديباج والحرير.''

نحن نعرف أن ''كاظمة'' من أسماء ضواحي البصرة كما أن جبل ''إضم'' من جبالها، وقد ذكرهما غير واحد من الشعراء العرب في شعرهم، على سبيل المثال جمعهما البوصيري في البيت التالي:

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضم(xxviii)

فنجد أيضًا في الشطر الأخير من البيت الأول كلمة ''طيلسان'. وهي لا تُستخدم في اللغة الأردوية، وقد أخذها إقبال من الأدب العربي، كما قال المعري :

رُبّ ليل كأنه الصبح في الحس-
-نِ وإن كان أسود الطيلسان(xxix)

وبعد هذين البيتين في نفس القصيدة ذكر إقبال الأطلال والنار المنطفئة. فقال:

آگ بجھی ہوئی اِدھر، ٹوٹی ہوئی طناب ادھر
کیا خبر اس مقام سے گزرے ہیں کتنے کارواں''(xxx)

''النار منطفئة هنا والطنب مكسورة هناك، وما يدري أحدٌ كَمْ من القوافل مرّت بهذا المكان؟''

ومن المعلوم أن ذكر أطلال القوافل والأمم هو موضوع من مواضيع الشعر العربي. والوقوف على الأطلال والبكاء عليها والخيم والطنب المكسورة والقوافل المرتحلة هي من تلك المواضيع التي استخدمت

من قِبل الشعراء العرب والتي زُيّنت في قلوبهم، فتناولوا هذه المواضيع بكثرة وأطلقوا سراح فكرهم فيها، ولا نجد شاعرا من الشعراء العرب القدامى إلا وقد قدح زناد فكره منه، إلى أن ضاق به الشاعر العباسي الشهير أبو نواس وقال:

قل لمن يبكي على رسم درس

واقفا، ماضر لو كان جلس(xxxi)

الثالث: استخدام أبيات الشعراء العرب في شعره تضمينًا وتلميحًا

من خلال قراءة شعر إقبال نجد ذكر المتنبي، وأبي العلاء المعري، وعمرو بن كلثوم، والبوصيري، وكعب بن الزهير، وزهير بن أبي سلمى وامرئ القيس وغيرهم من شعراء العرب. نحو بيت من معلقة عمرو بن كلثوم هذا:

صَبَنْتِ الكَأسَ عَنّا أُمَّ عَمْـرٍو

وَكَانَ الكَأسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَـا(xxxii)

فذكره إقبال تضمينًا في شعره. فقال:

صَبَنْتِ الكَأسَ عَنّا أُمَّ عَمْـرٍو

وَكَانَ الكَأسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَـا

اگر بايں است رسم دوست داری

بديوار حرم زن جام ومينا(xxxiii)

أي ''يا أم عمرو! كنّا جالسين باليمين فكان عليكِ أن تبدأي دور الكأس من اليمين ووفقًا للعادة. ولكنكِ قد صرفتِ الكأس عنّا وبدأتِ دور الكأس من اليسار. فإن يكن هذا هو طقوس الصداقة فاضرب بالكأس والإبريق بجدار الحرم.''

فانظروا كيف استخدم بيته في شعره واستمر بمفهومه في بيته الثاني باللغة الفارسية. حتى أن القارئ الذي لا يعرف أن البيت الأول لهذا الشعر من الأدب العربي وهو يقرأ الترجمة فقط باللغة الأردية لا يمكنه التخمين أنه بيتٌ للشاعر الآخر العربي. وسوف يظن أن هذين البيتين كلاهما للشاعر الواحد بسبب استمرار المعنى.

يبدو من هنا أن إقبال كان متأثرًا بشعراء العرب وكان يذكر أبيات الشعر العربي تلميحًا وتضمينًا في شعره. فلهذا السبب يتصف شعره بصفات الشاعرية العربية. كان يعتقد أن الشعر الصادق هو الذي قُدّم من قِبل العرب. وكان متأثرًا إلى حد بعيد كما أبدى إعجابه بالشعر العربي في كتابه ''Stray Relfections''، فقال:

''No poetry is so direct, so straightforward and so manly in spirit. The Arab is intensely attached to reality; brilliancy of colour does not attract him...''(xxxiv)

أي ''ليس من الشعر العالمي ما يساوي الشعر العربي في أسلوبه المباشر الصريح، ملؤه روح المروءة، العربي يتلاصق بالواقع تلاصقا شديدا، لا يجذبه تألق الألوان...''

كتب إقبال كتابه المنظوم ''جاويد نامه ''أي'' رسالة الخلود .''وفي هذا الكتاب عرج إقبال مع شيخه الروحي جلال الدين الرومي – رحمه الله – إلى السماوات معراجًا روحيًّا خياليًّا فكريًّا. ومرّ في سياحته الفكرية الخيالية بكثير من المنازل، والتقى فيها بشخصيات ماضية، ومن هذه المنازل التي مرّ بها إقبال مع شيخه الرومي ''فلك القمر''. وهناك وادٍ من وديان ''فلك القمر'' الذي يقال له ''يرغميد'' والذي سمّاه الملائكة ''الطواسين'' – ومن الواضح أن كل هذه الأسماء سمّاها إقبال نفسه– . ''والطواسين ''هي جمع'' طس ''التي هو من حروف المقطعات .وهناك معنى الطواسين هو ''التعليمات''. فينظر إقبال بهذا الوادي الطواسين الأربعة. أي طس لـ ''غوتاما بوذا''، وطس لـ ''زرادشت''، وطس لـ ''المسيح عليه السلام''، وطس لـ ''محمد عليه الصلاة والسلام''.

لو تأملنا في كلمة ''الطواسين'' يفوت عقلنا في كتاب ''الطواسين'' لحسين بن منصور الحلاج. وكان هو أيضًا من أعيان القرن الثالث الهجري في الأدب العربي. واستخدام كلمة ''الطواسين'' من قِبل إقبال يدلّ على أن إقبالا نظر في الأعمال الأدبية للحلاج ويطيل النظر إليها. وفي هذه الرحلة الروحية الفكرية يزور إقبال الحلّاجَ في ''فلك المشتري'' ويسأله عن فلسفته ''أنا الحق'' وذنبه الذي أدى به إلى عقوبة الإعدام فيردّ الحلاّج ردًّا بسيطًا ويشرح فلسفته هذه. وإقبال قد ألقى الضوء بهذا على فلسفته من وجهة نظره.

ومن هؤلاء الرجال الماضيين الذين يزورهم إقبال في معراجه الخيالي أبو جهل –الذي كان من أعظم أعداء الإسلام وأشد الناس حماسة في الدفاع عن الجاهلية والكفر – يراه إقبال متعلقًا بأستار الكعبة يستعين آلهته على محمد–عليه الصلاة والسلام– وذلك عندما يرى الجاهلية تطرد من عاصمتها ومهدها طردا شنيعا– إنه ينوح قائلا:

باز گو اے سنگ اسود باز گوے
آنچہ دیدیم از محمد باز گوے
اے ھبل، اے بندہ را پوزش پذیر
خانۂ خود را زِ بے ایشاں بگیر
گلہ شاں را بگر گاں آن سبیل
تلخ آن خرمائے شاں را بر نخیل!
صر صرے دہ با ھوائے بادیہ
"أنھم أعجاز نخل خاویۃ"
اے منات اے لات ازیں منزل مرو
گر ز منزل می روی از دل مرو
اے تُرا اندر دو چشم ما وثاق
ہلتے " إن کنت أزمعت الفراق(xxxv)"

''أعد علينا أيها الحجر الأسود! أعد علينا حديث ما لاقيناه على يد محمد! يا هبل! يا من يقبل الاعتذار من عباده! أسلب بيتك من أيدي هؤلاء الزنادقة، سُق قطيع أغنامهم إلى الذئاب، واجعل تمرهم مرا على نخلهم، أرسل عليهم صرصرا من ريح الفيافي، واجعلهم أعجاز نخل خاوية، يا مناة! ويا لات! لا ترحلا عن أرضنا، وإذا كان لا بد من الرحيل فلا ترحلا عن قلوبنا، وما دام لك يا لات في عيني وثاق فأمهلي إن كنت قد أزمعت الفراق.''

فكل من له أدنى إلمام بالأدب العربي الجاهلي يدرك أن عبارة ''إن كنت أزمعت الفراق'' في الشطر الثاني للبيت الأخير من هذه القصيدة مأخوذة من البيت التالي لعنترة بن شداد العبسي:

إن كنت أزمعت الفراق فإنما
زمت ركابكم بليل مظلم(xxxvi)

ونحن نعرف أنّ الشطر الثاني للبيت الرابع من هذه الأبيات هو آية من آي القرآن الكريم. فاستخدمه إقبال في بيته هذا. فقال الله تعالى:

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(xxxvii)

تتوفر الأمثلة للأدب العربي في شعر إقبال. ولكننا نكتفي على الأمثلة المذكورة خشية الإطالة.

الخاتمة والنتائج

بالاختصار! إن معظم الشعراء الأردويين قد تأثروا بالأدب العربي واغترفوا من بحره. وعلى رأسهم شاعرنا الوطني وشاعر الشرق علامة محمد إقبال عليه رحمة الرحمان. ويبدو من كثرة التلميحات للأدب العربي التي استخدمت في شعره أنه يغوص في بحر الأدب العربي ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان. ومن خلال هذا البحث العلمي يبدو أنه كان متأثّراً بلسان عربي مبين.

وفي النهاية أوجز القول في بيان أهم النتائج لهذا البحث العلمي. وأما النتائج فهي كالتالي:

كان العلامة محمد إقبال شاعرًا كبيرًا ومفكّرًا عظيمًا.

تأثّر إقبال تأثّرًا عميقًا بالأدب العربي والإسلامي.

اقتبس إقبال في شعره من هدي كلام الله سبحانه وتعالى كما أنه اقتبس بالسنة النبوية والشعر العربي.

أخذ المفاهيم من الأدب العربي وكساها الأسلوب الأردوي والفارسي.

ولو تأملنا في شعره نجد أنه أخذ أسلوب الأدب العربي. ويمكن أن نحصره في ثلاثة اتجاهات آتية:

الأول: قد يستخدم الكلمات العربية في معانيها الخاصة باللغة العربية ولو أنها تستخدم بغير معانيها باللغة الأردية.

والثاني: أنه قد يأخذ المواضيع من الشعر العربي وجعله موضوعًا لشعره.

والثالث: أنه في بعض الأحيان يستخدم أبيات الشعراء العرب في شعره تضمينًا وتلميحًا.

[i]الهوامش والحواشي

() اسلم كمال، كسب كمال (كليات إقبال المصورة)، لاهور: مقبول اكادمي، 1998م، ص:8

[ii]() إقبال، كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال اكادمي باكستان، الطبعة الثانية: 1994م، ص: 41

[iii]() الحسيني، أحمد زيني دحلان، السيد، شرحه على متن الأجرومية في علم العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، ص: 6

[iv]() سليم أختر، الدكتور، علامة إقبال حيات، لاهور: فكر و سنگ ميل پبلشرز، 2003م، ص: 890

[v]() إقبال، كليات إقبال الفارسية، ص: 133

[vi]() نفس المرجع، ص: 547

[vii]() البقرة، 2: 269

[viii]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، لاهور، إقبال اكادمي باكستان، 1990م، ص: 369

[ix]() الصف، 61: 2-3

[x]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، ص: 229

[xi]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، ص: 235

[xii]() البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، بيروت، لبنان: دار ابن كثير، الطبعة الأولى: 1423هـ / 2002م، ص: 1508، رقم: 6011، والمسلم، مسلم بن حجاج القشيري، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1427هـ / 2006م، ص: 1201، رقم: 2586

[xiii]() مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ص: 1201، رقم: 67

[xiv]() محمد منور، بروفيسور، ميزان إقبال، لاهور: إقبال اكادمي باكستان، 2012م، ص: 02

[xv]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، ص: 94

[xvi]() إقبال، كليات اقبال الفارسية، ص: 526

[xvii]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، ص: 258

[xviii]() إقبال، كليات إقبال الفارسية، ص: 55

[xix]() وقد كتب إقبال في الهامش أن اسم ''سلمى'' يستخدم رمزا للعشيقة في الأدب العربي، أنظر: إقبال، كليات إقبال الفارسية، ص: 39، هو من تلك الأسماء التي يستخدمها الشعراء العرب في اشعارهم كثيرا لإخفاء الاسم الحقيقي

لحبيبهم، وقد عدها العلماء من"عرائس الشعر" أو "نساء الغزل"، أنظر: رضوي، خورشيد، الدكتور، عربي ادب قبل از اسلام، لاهور، اداره اسلاميات، الطبعة الأولى: 1431هـ / 2010م، ص: 234

[xx]() قد ذكر إقبال في الهامش أن المصراع النهائي لهذا البيت يشير إلى قول الشيخ حسام الحق ضياء الدين: "أمسيت كرديا وأصبحت عربيا". نفس المرجع، نفس الصفحة

[xxi]() طه حسين، الدكتور، ''إقبال وأبو العلاء المعري'' مقال ضمن كتاب: ظهور أحمد أظهر(الدكتور). إقبال العرب على دراسات إقبال، لاهور، المكتبة العلمية، 1977 م، ص: 31

[xxii]() الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، تحشية: الديوبندي، محمد اعزاز علي، مولانا، لاهور، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى: 1399 هـ / 1979م، ص: 32

[xxiii]() الحقاني، فيض الرحمان، مولانا، جلاء الفراسة شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة، ص: 76

[xxiv]() إقبال، كليات إقبال الأردوية،ص: 52

[xxv]() رضوي، خورشيد، الدكتور، ''أفكار العلامة محمد إقبال حول عالم العرب واتحاد الأمة المسلمة''، ص: 12

[xxvi]() إبراهيم، 14 : 24

[xxvii]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، ص: 438

[xxviii]() البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سيد، ديوان البوصيري، تحقيق: كيلاني، محمد سيد، مصر، شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1393 هـ/ 1973 م، ص: 238

[xxix]() المعري، أبو العلاء، سقط الزند، شرحه: أحمد شمس الدين، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1410 هـ/ 1990 م، ص: 90

[xxx]() إقبال، كليات إقبال الأردوية، ص: 438

[xxxi]() أبو نواس، الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس، حققه وشرحه، الغزالي، أحمد عبد المجيد، لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى: 1423هـ/ 2003م، ص: 118

[xxxii]() عمرو بن كلثوم، معلقة عمرو بن كلثوم، حررها ووضع حواشيها: محمد علي الحسني،أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى: 2012م، ص: 21

[xxxiii]() إقبال، كليات اقبال الفارسية، ص: 772

[xxxiv]() Iqbal, Stray Reflections, Pakistan: Iqbal Academy, 3rd edition, 2006, p:74.

[xxxv]() إقبال، كليات اقبال الفارسية، ص: 526 - 527

[xxxvi]() الزوزني، ابن عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: 1426هـ / 2005م، ص: 118

[xxxvii]() الحاقة، 69 : 7

الهوامش

(1) القرآن الكريم، المنزّل من الله سبحانه وتعالى

(2) اسلم كمال، كسب كمال (كليات إقبال المصورة)، لاهور: مقبول اكادمي، 1998م

(3) إقبال، كليات إقبال الأردوية، لاهور، إقبال اكادمي باكستان، 1990م

(4) إقبال، كليات إقبال الفارسية، لاهور: إقبال اكادمي باكستان، الطبعة الثانية: 1994م

(5) البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله، الصحيح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، بيروت، لبنان: دار ابن كثير، الطبعة الأولى: 1423هـ / 2002م

(6) البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سيد، ديوان البوصيري، تحقيق: كيلاني، محمد سيد، مصر، شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، 1393 هـ/1973 م

(7) الحسيني، أحمد زيني دحلان، السيد، شرحه على متن الأجرومية في علم العربية، بيروت: دار الكتب العلمية

(8) الحقاني، فيض الرحمان، مولانا، جلاء الفراسة شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة

(9) رضوي، خورشيد، الدكتور، أفكار العلامة محمد إقبال حول عالم العرب واتحاد الأمة المسلمة

(10) رضوي، خورشيد، الدكتور، عربي ادب قبل از اسلام، لاهور، اداره اسلاميات، الطبعة الأولى: 1431هـ / 2010 م

(11) الزوزني، ابن عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: 1426هـ /2005 م

(12) سليم أختر، الدكتور، علامة إقبال حيات، لاهور: فكر و سنگ ميل پبلشرز، 2003م

(13) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، تحشية: الديوبندي، محمد اعزاز علي،مولانا،لاهور، المكتبة السلفية، الطبعة الأولى: 1399 هـ / 1979م

(14) طه حسين، الدكتور، ''إقبال وأبو العلاء المعري'' مقال ضمن كتاب: ظهور أحمد أظهر(الدكتور). إقبال العرب على دراسات إقبال، لاهور، المكتبة العلمية، 1977 م

(15) عمرو بن كلثوم، معلقة عمرو بن كلثوم، حررها ووضع حواشيها: محمد علي الحسني،أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة: دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى: 2012م

(16) محمد منور، بروفيسور، ميزان إقبال، لاهور: إقبال اكادمي باكستان، 2012م

(17) المسلم، مسلم بن حجاج القشيري، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى: 1427هـ / 2006م

(18) المعري، أبو العلاء، سقط الزند، شرحه: أحمد شمس الدين، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1410 هـ/ 1990 م

(19) أبو نواس، الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس، حققه وشرحه، الغزالي، أحمد عبد المجيد، لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى:1423 هـ/2003 م

(20) Iqbal, Stray Reflections, Pakistan: Iqbal Academy, 3rd edition, 2006, p:74.